مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 01 (2024م) • ص ص 519 - 538
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الممارسة الدينية في الخطاب السردي الجزائري

ـ قراءة في روايتيْ "المكنونة" و"خطوات في الاتجاه الآخر" لحفناوي زاغز ـ

Religious Practices in Algerian Narrative Discourse: A Reading of Hafnaoui Zaghez's Novels 'The Hidden One' and 'Steps in the Other Direction'

ط.د/ نور الهدى قادري *
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الطارف، (الجزائر)
nh.kadri@univ-skikda.dz
no.nour222@gmail.com

أ.د. صالح جديد
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف (الجزائر)
djedid.salah@ymail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/19 | تاريخ القبول: 2024/02/23 | تاريخ النشر: 2024/03/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تسعى الباحثة من خلال هذه المقاربة التقابلية الحجاجية لرواية "المكنونة" ورواية "خطوات في الاتجاه الآخر" إلى الكشف عن وجهات نظر الكاتب المتعلقة بالممارسة الدينية الإسلامية من حيث فهمها، وتطبيقها، ودعوة الآخر (المخالف في المنهج)، وكذا وجهات النظر المتعلقة بأساليب الصهيونية في محاولتها التحكم في العالم هذا من جهة، ومن جهة أخرى الوقوف على الحوار الذي يضطلع بالكشف عن مقصدية الشخصيات المتحاورة وأنماط حججها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ السياق؛ الحجاج؛ الحوار؛ حفناوي زاغز.

Abstract: The researcher aims to analyze the author's views on Islamic religious practice, examining aspects of knowledge, application, and the call of the other (dissenters in the religious path). This exploration employs a contrasting and argumentative approach, comparing the novels "The Hidden one (El Maknuna)" and "Steps in the Other Direction (Khutuwat fi el itijah el akher)." Additionally, the research seeks to study the perspectives related to Zionism, exploring its endeavor to exert influence globally. On the other hand, it investigates the dialogue surrounding the intentions of those involved and the patterns of their arguments.

Keywords : discourse; context; argumentation; dialogue; Hafnaoui Zaghez

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

أولت أغلب الشعوب، منذ نشأتها، أهمية بالغة للدين باعتباره المنظم لشؤون حياتها، وسواء أكانت هذه الديانات سماوية أم وضعية، فإنها سعت إلى إلزام أفرادها وجماعاتها بما جاء فيها من معتقدات ومسلمات وشعائر...كما سجلت الدراسات والأبحاث والتجارب محاولة رجال كل دين إثبات صحة ما جاء في دينهم بالنسبة للأديان الأخرى.

لقد انبثقت عن الممارسات الدينية عدة إشكالات منها أن الاختلاف الموجود على مستوى الديانات أدى إلى صعوبة التزام أفراد الشعوب بديانتهم كما هي في كتبهم أو طقوسهم، كما أن التباين في الممارسة الدينية أثّر على العلاقات الاجتماعية فظهرت الصراعات الفكرية (حوارات، مناظرات، مؤتمرات...) وكذا الصراعات الميدانية مثل الحروب.

إن الدين الإسلامي يعتبر الدين السماوي الأوحد الذي سَلِمَ كتابه من التحريف، والدين الذي جاء للعالمين جميعا، ومع ما فيه من أخلاق وقيم لم يسلم على مر الزمان من ممارسات بعض أفراده المسيئة له كما لم يسلم من كيد أعدائه، فالتاريخ حافل بالمؤامرات التي شُنّت ضده سواء أكانت على مستوى خارجي، أي من قبل أتباع الأديان الأخرى أم على مستوى داخلي، مثل قيام الفتنة بين أبنائه وتغذية الاختلافات الموجودة بين الجماعات والطوائف الإسلامية.

تهدف هذه المقالة إلى دراسة الممارسة الدينية وأصول الحوار الفكري في الخطاب السردي عند حفناوي زاغز- مقاربة تقابلية حجاجية لنماذج، وذلك باختيار رواية"المكنونة" التي تمثل صورة الاستهداف الصادر من خارج الدين الإسلامي المتمثل في الكيد الصهيوني، ورواية "خطوات في الاتجاه الآخر" التي تصور الصراع الداخلي بين أبناء الدين الواحد، فتقدّم صورة عن حياة الجزائري خلال العشرية السوداء. ويمكن طرح الإشكال العام للبحث فيما يلي:

-ما مدى قدرة الكتابة الأدبية عموما والروائية خصوصا على معالجة مسألة الممارسة الدينية والتحديات التي تواجه المسلمين؟ ويتفرع عن هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات منها:

-ما هي المواضيع أو القضايا التي شكّلت هاجسا للكاتب؟

- ما مكانة الحوار في الممارسة الدينية؟

- ما هي أصول الحوار الفكري أو الديني المتحققة في الروايتَيْن؟

وللإجابة عن الإشكال والتساؤلات اعتمدت الدراسة على مقدمة وخاتمة وثلاثة محاور رئيسة. تمثل المحور الأول في عرض مضمون الروايتين؛ "المكنونة" و"خطوات في الاتجاه الآخر "، واشتمل المحور الثاني المعنون بـ أصول الحوار الديني في رواية المكنونة على تناول ما وقفنا عليه من قيم دينية سليمة حاول الإمام المزيّف المندس أبو الهدى زعزعتها وتدميرها عن طريق "أسلوب الاستدراج" الذي أخذ شكلين؛

الاستدراج بالتعبئة، والاستدراج في المناظرة، فالأول خصّ به مجتمع المكنونة، والآخر استهدف به البطل "مسيمر" الذي أراد أن يظهر فساده ومكر الأغراب.

أما المحور الثالث فعُني بـ أصول الحوار الفكري في رواية خطوات في الاتجاه الآخر، إذ صوّر تأزم الحوار الفكري بين المتشددين في الدين وبطل الرواية" نجم الدين" الذي حارب الإرهاب سياسيا، وقد وضّحنا فيه كيفية تأثير السياق الخارجي على أسلوب الحوار وأنماط الحجج بين الطرفين.

2. مضمون الروايتين؛ "المكنونة" و"خطوات في الاتجاه الآخر "

صوّرت رواية" **المكنونة**" مختلف أساليب الصهيونية الخبيثة وهي تحاول التحكم في العالم؛ بحيث يروي الشيخ المعمّر الكبير "**الخضرمان**" ما حلّ بأهل المكنونة نتيجة قدوم الأغراب (**اليهود**) إلى أرضهم، فقد كان الأغراب قلة يطلبون الأمن والاستقرار لعام أو عامين من أهل المكنونة الملقّبين بالأغيار، وما لبثوا يتكاثرون ويتوافدون إلى هذه الأرض، ويتحكمون في أوضاعها وخيراتها خاصة بعد اغتيال الأولياء الصالحين "**ك**" "ج" "**ص**" الذين كانت لهم مكانة كبيرة في قلوب الناس؛ فهم عبّاد زهّاد اتخذوا من الجبال مسكنا، وينزلون كل جمعة كي يصلوا بالناس ويعظوهم وينظروا في أمور دينهم ودنياهم إلا أنهم بعد اغتيالهم والتنكيل بجثثهم لم يجرؤ أحد على الصلاة بالناس إلى أن ظهر رجل غريب يكنى "**بأبي الهدى**" يبكي الأولياء ويدعى أنهم جاؤوا إليه في المنام وطلبوا منه أن يؤم الناس. وبعد ذلك تغيّر المسار السردي بتغيّر فعل أبي الهدى الذي شرع في تجسيد ما يضمره، فبدأ يغيّر شيئا فشيئا عقيدتهم؛ فأقام أضرحة للأولياء وشرّع زيارتهم في أيام محددة ... إلى أن احتدم الصراع الفكري بينه وبين بطل الرواية "**مسيمر**" الذي حاول أن يعرف المتسبّب في اغتيال الأولياء ومن يقف وراء التغيير السلبي الذي طرأ على "**المكنونة**"؛ حيث أدرك أن ما يحدث للمكنونة ما هو إلا خلخلة للمبادئ الإسلامية والقيم المتوارثة من طرف الأغراب وما استحدثوا من تطور زائف وشرطة ظالمة وملذات ومشروبات ممزوجة بالمخدرات وإباحة الفاحشة والاستهانة بأحكام الشريعة الإسلامية من طرف الإمام المزيّف الذي هو في الأصل يهودي عربي متنكّر، فقرّر "**مسيمر**" وأصحابه الصعود للجبل كي يعيدوا المكنونة إلى ما كانت عليه من قبل؛ مستقرة طاهرة نقية... ، ويضعوا حدا للإمام والأغراب ومن أفسدوا فيها .

أما رواية "**خطوات في الاتجاه الآخر**" فتصف زمن الاضطراب السياسي والعنف الإيديولوجي في الجزائر، ويمثل "**نجم الدين**" بطل الرواية محور الصراع بين السلطة والإرهاب، فهو أحد موظفي الوزارة العاملين على محاربة الإرهاب، استهدفته المنظمة الجهادية (**منظمة الدعوة والجهاد**)، فأرسلت إليه رسالة مفادها أنه مخوّل للانضمام إليها، ورغم رفضه الانضواء تحت أية منظمة سرية إلا أنه اضطر إلى إبداء قبوله المبدئي، خوفا على نفسه باعتباره المُعينَ الوحيد لأمه وأخته بعد مقتل أبيه على يد الإرهاب، وخوفا على أقاربه وأصدقائه وجيرانه، وقد كان يظن"**نجم الدين**" أن الأمر يتوقّف عند إخبارهم بما يحاك ضدهم في الملتقيات والمؤتمرات التي يشارك فيها، إلا أن الضغوطات أخذت تزداد، فمن إرسال كتب إلى

منزله العائلي، إلى حوار متزمت ومتطرف، إلى طلب توقيع وثيقة الانتماء وتنفيذ الأوامر دون مناقشة أو رفض.

مرّ البطل "**نجم الدين**" بعدة أهوال، فقد كانت اللقاءات تبرمج من طرف المنظمة دون علمه، وكان يجهل جهلا تاما من يكون رسول الجماعة (القيادة، المنظمة)، غير عالم بمن يحاوره. وتجلّت آراء البطل في المونولوغ، وكان من الأهوال التي مرّ بها أن طُلب منه قتلَ أربعة أشخاص كتجربة ودليل يثبت به انتماءه للجماعة، ومنعه من الذهاب إلى مؤتمر دولي كان ضمن عمله المعتاد، وأمره بتجهيز نفسه لمغادرة الوطن من أجل أخذ دورة تدريبية في حمل السلاح. ومن أجل أن يشرك الكاتب المتلقي في إتمام دورة العملية الإبداعية ترك النهاية مفتوحة؛ فاحتمالات مصيره عديدة: الرضوخ، الرفض والاغتيال، انتهاء الأزمة والنجاة.

3. أصول الحوار الديني في رواية المكنونة

يظهر جليا من خلال رواية "المكنونة" أن الإمام "أبا الهدى" ذو شخصيتين؛ الأولى هي شخصية الإمام الظاهرية البارزة لجميع أهل المكنونة، أما الشخصية الثانية هي الصورة الحقيقية المضمرة، والمقصود هنا شخصية "شمعون" اليهودي الذي يتعاون مع "الأغراب" من أجل ضرب الدين الإسلامي من الداخل، فبعد دخوله المسجد أخذ يغيّر من أخلاق المجتمع المكنوني شيئا فشيئا، وواجهته في ذلك عقبة أراد التخلص منها. تمثّلت تلك العقبة في شخص "مسيمر" ومن يتبعه من عشيرته وأصحابه الذين أخذوا يتكاثرون، لذا قرّر الإمام استدراجه، مثلما استدرج عامة أهل المكنونة بأسلوب مختلف، واجتهد في النيل منه حتى لا تنتشر أفكاره البناءة في المحافظة على القيم الدينية الصحيحة الموروثة عن الأولياء الثلاثة، ولكي يقلّل من شعبيته ويضعف موقفه عمل كما ذكرنا على استدراجه.

إن الاستدراج في اللغة يدل على معانٍ ثلاثة هي: [1]

- « الأخذ في الشيء والذهاب فيه قليلا قليلا».

- و «الاستمالة والخداع ».

-و«الاستدناء رويدا رويدا».

ولقد انطبقت هذه المعاني على النهج الذي سلكه الإمام "أبو الهدى" على مستوى المجتمع ككل أو على مستوى شخصية مناظره "مسيمر" الذي استاء مما يحدث في "المكنونة" من تسيّب واستهتار وانتشار آفات اجتماعية(مهلوسات، زنا ...)، فأراد أن يستبين موقف الإمام مما يحدث باعتباره الحامي

[1] - معجم الدوحة التاريخي،
https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%ACK تاريخ التصفح 2023/04/14.

الأول للدين، جاء في قوله : « لا أرى كالمواجهة أعذارا، غير أني لا أدري إن كان عليّ أن أسأله جهارا أمام الملإ . أو أقصده إلى بيته منفردا؟ وبعد معاناة واصطبار، قرّر الذهاب إلى بيته». [1]وبعد حفاوة استقبال من الإمام، ومدح لعشيرة العرادلة «فكر مسيمر: «هل حقا يجهل الذي حدا بي إليه...نظراته وابتسامته توحيان بأنه يعرف كل شيء...عن تحركاتي ومواقفي وأقوالي...إنه يدرك في قرارة نفسه أنه الأقوى فهو بالرغم من بساطة المنظر ينظر للأشياء من علٍ[...] أطرق الشيخ برأسه قليلا ثم قال:

ـ إن لم يكن في الموضوع سر شخصي فإني أفضل أن نناقش ما تود أمام الجماعة بعد صلاة العصر...نحن أسرة واحدة، لعلّ ما يوجع بعضنا هو ذات العلة التي نشكو منها جميعا...هل أنت معي؟ إذ نتيح بذلك فرصة لحوار أعم، وتساؤلات تكون قد خالجت بعض الصدور...إني دائما أقول لاشيء أجدى من الحوار الصريح الهادف.

ردَ مسيمر حائرا: نعم... إني موافق، إذ ليس لديّ ما أخفيه عنكم أو عن الآخرين ...بغيتي واضحة وأهدافي يعرفها الجميع، ووجهات نظري هي هي، مستترها ظاهر وسرها علني...». [2] فمن خلال هذا الحوار، يتضح لنا الأسلوب الذي استدرج به "أبو الهدى" خصمه "مسيمر" لمناظرة علنية، فقد كان بإمكانه الإجابة عن أسئلته في منزله إلا أنه ارتضى تأجيلها لتكون في المسجد تحت غطاء المنفعة العامة والسمو بالحوار الجماعي الهادف الذي يعد الوسيلة المثلى للتفاهم بين البشر، وأن الحاجة إلى الحوار ضرورة عند التباين في الأفكار حتى لا تنعكس سلبا على الواقع، فتحل الفوضى والعنف.

إن "أبا الهدى" ركب أصل(أسلوب/آلية) الحوار باعتباره آلية حضارية، فالحوار « لا يوجد إلا حيث الاختلاف»،[3] إذ يسعى كل طرف محاور إلى إثبات صحة موقفه بأساليب متنوعة كالأسئلة والحجج الدامغة...، فالملاحظ أن الأسئلة التي طرحها "مسيمر" كانت تتعلق بالمكنونة ولم تكن أسئلة خاصة به، لذا قَبِلَ بأن يكون الحوار علنا، مع إدراك الإمام التام بما يجول في خاطر الشاب الذي كان من أهم سماته الوضوح في المبادئ والأفكار، على النقيض من الإمام الذي كان يكتنف الغموض شخصيته.

1.3. الاستدراج في التعبئة (تعبئة الإمام لأهل المكنونة):

كانت "المكنونة" بلدا آمنا تسمو فيه الروح عن ملذات الجسد، يمتاز أهلها بالطيبة والخلق الرفيع والتفاهم فيما بينهم قال "**الخضرمان**" راوي القصة: « **الحياة بالرغم من بساطتها بل لبساطتها كانت تتميز بالتفاهم والتآخي بين الناس على سطح المكنونة، حتى أن الزائر العابر – وقلما يأتيها زائر- يخال صادقا أن سكانها قد اختيروا بعناية فائقة وحذر شديد، وفقا لمعايير دقيقة صارمة، وطبقا لبرامج ومناهج تربوية متفوقة، فجاءت الحصيلة كما توقعها لها المشرفون أو أكثر من ذلك بكثير (...) وأن**

[1] - حفناوي زاغز، المكنونة، ص 197.

[2] - المصدر نفسه، ص200-201.

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص20.

أولئك الأقوام عاشوا فعلا على سطح هذه الأرض، وليسوا طائفة من الملائكة، ولا فريقا من الجن المؤمنين قد عمروا المكنونة في ذلك الزمن»[1]

الملاحظ في صفات أخلاق أهل المكنونة أنها كانت سليمة بامتياز قائمة على الصلاح والرشاد حتى وصلت إلى مقام شُبِّه فيه أهلها بالملائكة، إذ لا يتوقع القارئ تغيّر القوم من حال إلى نقيضها في غضون شهور، إلا أن هناك رواية أو نبوءة أو أغنية من خيال شاعر أو رؤيا صادقة ... - كما عبر عنها "**الخضرمان**" – تدل على تغيّر الحال، ورغم ما اعترى هذه الرؤيا من نقصان وزيادة بفعل التواتر وانتقالها من جيل إلى جيل إلا أن "**مسيمير العردولي**" كان يرى نفسه المنقذ للمكنونة بعد الضياع الذي سيجتاحها، ومما جاء في هذه الرؤيا " **لا العدل ولا الخير باقٍ، الأغراب غربان، وحيد أبويه... الطوفان آتٍ ... المنقذ الفارس منا... اختفى الجمال والحب. يندك الجبل، وإذا لم تتحطم السفينة تذبح المكارم، النهار من حيفهم ليل، بعض بنيك عون لهم عليك**".[2]

من خلال تلك النبوءة انطلق "**مسيمر**" في تساؤلاته عن سر اندكاك الجبل وعلاقته بالسفينة، إذ بعد مقتل الأولياء الصالحين أراد القصاص من المتسبّبين في هذه الجريمة ومحاولة معرفة غايتهم من هذه الجريمة، قال في نفسه "**... فكيف يمكن أن يُتعدى على مثل هؤلاء بالقتل والتمثيل والحرق ... وما الذي يرمي إليه القتلة من وراء ذلك...؟ هل الإخلال بالأمن أم ضرب المقدسات، أم الحط من شأن الدين؟ أم زعزعة الإيمان؟ أم إثارة الفتنة؟ أم تراهم يريدون قلب نظام الحياة، تغيير مجرى الأشياء، القذف بالناس في أتون الحقد والغضب، والدفع بهم إلى دهاليز الرذيلة والاضمحلال؟ أم ماذا تراهم يستهدفون؟ الله وحده أعلم بذلك**".[3] فغاية مسيمر لم تكن الاقتصاص للأولياء الصالحين فقط، وإنما تعدّت إلى معرفة الحقيقة، ومحاولة استئصال الشر قبل تفاقم الأوضاع، إلا أن الأمر زاد تعقيدا بوصول الإمام المزيف "**عبد القادر أبو الهدى**".

1.1.3. الشخصية المستدرِجة وأساليب تأثيرها في مجتمع المكنونة:

لا شك أن الإمام يحتل مكانة عظيمة بين المسلمين، فعموما، لا يشك أحد في صدقه وحسن سريرته، إذ يعتبر القدوة العالم أو العارف بأمور الدين والدنيا لذا يقصده المسلمون للاستفسار عن أمورهم الخاصة حتى لا يقعوا في المحظور، وقد جعل الكاتب **الإمام أبو الهدى** يتصف بالصفات التالية: إتقان اللغة العربية، الإلمام بأمور الدين والدنيا، فذكر أن "**مسيمرا**" وجده " **حجة في علوم القرآن والأحاديث، مستوعبا للفلسفات والمذاهب ضليعا في أسرار اللغة وآدابها، شك أنه ملم بلغات أخرى لم يصرح بها أو يحاول الاستشهاد بها. لم يجد في حياته أو مسلكه ما يؤخذ عليه، ما عدا تأنيه وتباطئه**

[1] - حفناوي زاغز، المكنونة، ص 34-35.

[2] - المصدر نفسه، ص 33.

[3] - المصدر نفسه، ص87.

فيما آل على نفسه أن يفعله وألزم نفسه أمام الناس الوفاء به. من حل اللغز المحيّر الذي يكتشف اغتيال الأولياء؟؟[1]

ويمكن من هذا ومما جاء في الرواية تحديد استراتيجية أبي الهدى وأسلوبه في الاستحواذ على قلوب أهل المكنونة في الآتي:

أ- ادعاؤه أنه رأى في منامه رؤيا صالحة ظنّ في الوهلة الأولى أنها أضغاث أحلام إلا أنها تكررت ثلاثة أيام وقت الفجر، مبيّنا لهم أنه جاء فيها حثُّه على الحج إلى موقع اغتيال الأولياء المغدور بهم.

ب- اختيار قدومه قبل موعد صلاة الظهر بقليل إلى المكنونة مع علمه المسبق أن المكنونة وأهلها لا يملكون إماما.

ت- تأكيده لأهل المكنونة الذين امتنعوا عن صلاة الجمعة بعد اغتيال الأولياء والتنكيل بهم أن صلاة الجمعة تكون جماعة بإمام، وأنهم في عبادة الله لا في عبادة الأولياء.

ث- طلبه من أهل المكنونة تعريفه بحياة الأولياء الصالحين (**عددهم، أسماؤهم، طريقتهم في العبادة، أساليب تعاملهم مع الناس، وسائل عيشهم، مدى تجردهم من متاع الحياة، ومتى اغتيلوا، وكيف، و أين قبورهم؟**" [2] ودعاه عدم العثور على جثثهم إلى أمرهم بأخذ تراب من مكان عبادتهم وإقامة أضرحة لهم...

ج- طلبه من أهل المكنونة مرافقة اليهود في حفل الجنائز باعتبارهم إخوة في الإنسانية.

وبهذا تتضح استراتيجية الإمام التي استدرج بها أهل المكنونة فضمن بذلك مكانته إماما ومسيرا لأمورهم، انطلاقا من معرفته بالدين الإسلامي وأهل المكنونة، فأسس بذلك للفكر الخرافي بلبسه ثوب الوقار، وذلك بتأكيده على المحافظة على العبادات والتركيز على تصحيح الاعتقاد، فالاضطراب يبدو في سلوكه، فمن عرض منام إلى نقاش بشأن الصلاة وتقديس الأولياء بدل تعظيم الله ثم إلى الدعوى إلى بناء أضرحة للأولياء.

2.3. الاستدراج في المناظرة:

عُرفت المناظرة عند العرب واليونان وغيرهم، فهي عبارة عن «**ممارسة حوارية، أساسها دعوى يقدمها المدعي، يبادر بها متوخيا تحقيق الإقناع بها، فيكون من وظيفة المعترض فحصها والتحري في أدلتها. وفي سياق هذا التداول يشتغل الاستدلال من الجانبين، لكي تصحح الدعاوى أو تبطل أو تعوض، وترجح كفة أحد المتحاورين خدمة "للصواب" و"الفائدة"**»،[3] وبهذا فالإقناع مقصد لمنشئ

[1] - حفناوي زاغز، المكنونة، ص189

[2] - المصدر نفسه، 169.

[3] - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص170.

الخطاب/ المرسِل أو المناظِر الذي يحتاج إلى آليات واستراتجيات كي يؤثر في المتلقي ويجعله يتبنى أفكاره [1] أو يفحمه من أجل أن يزعزع ثقته لدى الجمهور، وهذا الذي حدث مع "مسيمر".

إن القارئ لرواية المكنونة يجد أن أسلوب المناظرة حاضر في الحوار الدائر بين الشخصيات المحورية، إذ يلحظ أن الإمام، بمساعدة الأغراب، أحدث تغيير كبيرا على المكنونة، وننوّه إلى أنه لا يكفي المقام لسرد مجمل تلك التغيرات إلا أن ما يهمنا منها هو طريقة رد الإمام على أسئلة "**مسيمير**" وأسلوبه الحجاجي المبني على المراوغة والتضليل التي كانت من صميم الحوار الذي دار بينهما، إذ لما بلغ السيل الزبى، ذهب "**مسيمير** " إلى بيت الإمام كي يحاوره، إلا أن الإمام كان يدرك ما يجول في خاطر"**مسيمير**" لذا طلب منه أن يكون الحوار بينهما علنا في المسجد حتى يضعف موقفه وأصحابه ومن تبعهم من أهل المكنونة. ومن المهم الإشارة إلى أنه كانت لـ"**مسيمير**" خمسة أسئلة وجّهها إلى أبي الهدى، نوردها كما هي مردفة بأجوبتها نظرا لما تقتضيه عملية التحليل، فقد ردّ « ...**أبو الهدى قائلا :**

-قل ما بدا لك إن ما يضيرك كفرد يضيرنا جميعا كأمة واحدة... جسد واحد وأعضاء شتى.

-مسيمير متسائلا:

أولا: إلى متى سيظل الصمت مخيما على تلك الجريمة التي لا أجد في قاموس معارفي صفة ملائمة أطلقها عليها سوى أنها جريمة الوباء؟

ثانيا: ولماذا التغاضي عما يكمن ووراء الإشاعات الرهيبة خلقا وترويجا، بهدف زعزعة الإيمان وبث الفوضى ونشر العداء والإغراء بالانحراف؟

ثالثا: أمَا من إجراءات حاسمة أو تدابير وقائية للحد من ظاهرة التسيب واللامبالاة والاستهتار ومجافاة الدين؟

رابعا: ما سر تلك الفتيات اللاتي جئن حسب الادعاء من أجل السياحة فقط، إذن وما الغاية من تمسكهن بالبقاء، وركوبهن مركب التحدي والاستعلاء؟ ولماذا السكوت عن خروجهن متبرجات مستهترات، وهل يرضى الأخلاق والكرام أن يحولن بيت رجل صالح مؤمن إلى بؤرة خنا وعار؟

خامسا: إذا كانت فكرت إنشاء هيئة تحكم البلد، وتسير شؤونه أمرا علميا ومقبولا، إلا أن موضوع اختيار الأشخاص في التشكيلتين الأولى والثانية، وتحديد العدد ونسبة التمثيل، وكذا وضع الخطة والمنهج... كل ذلك لا يبدو لي واضحا ولا متماشيا أو منسجما مع منطق الشيخ الإمام.

سكت لحظة ثم قال: هذه تساؤلاتي إن و افقتم عليها رجوتم الشيخ الإمام معي أن يتفضل بالرد عليها وقد أبى – لحكمة يشكر عليها – إلا أن يشارك جمهوره المحبّ في كل ما ينوي أن يقول أو يفعل.

[1] - عبد الكريم حاقة، آليات الإقناع في القرآن الكريم-دراسة لنماذج لغوية وبلاغية مختارة، ص11، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/183377

قال الشيخ:

-ما رأي الإخوة الأعزاء؟ هل من اعتراض أو سؤال آخر أو استفسار أو اقتراح...؟

ساد سكون شامل كل أركان المسجد، أضاف في لهجة قوية النبرات مفعمة بالصدق والود؟

-لقد استمعتم معي إلى تساؤلات الشاب العردولي، وهي في جملتها خواطر توحي بحيرة فئة من الشباب وتمزقها وقلقها، لذلك أراها تسترعي الالتفات وتستحق منا وقفة متأنية مركزة: إن قتل نفس واحدة بغير حق جريمة تستوجب العقاب الذي يليق بها. فكيف إذا كان الأمر يتعلق بقتل ثلاثة، وهم من هم دينا وعلما وشفافية وطهرا، إذن فمعاقبة الجاني أو الجناة قضية تحتمها علينا العدالة والدين والمصلحة العامة، (ولكم في القصاص حياة)... ولكن يجب أولا أن نهتدي إلى الفاعل الحقيقي، لأننا كمؤمنين نخشى أن يعمينا الغضب، ويطير بصوابنا الجنون فنصيب الأبرياء... ولتعلموا جميعا أن القصاص ليس عملا فرديا وإلا تحول أخذا بثأر أو انتقاما لكرامة أو شرف... لكل ذلك ستتولى هيئة البلد إسناد هذا الأمر إلى جهاز القضاء... مع ضرورة الوقوف معه، ومساندته بما نملك من مشورة ورأي. انتهى. هل من قول آخر؟

أما الحالة التي عليها بعض الفتيان من لامبالاة واستهتار وتسيب، فإني أراها امورا عادية لا أتوقع منها خطرا أو أخشى من جرائها ضررا... فإذا لم يُجدِ الكبت والقهر في تقويم الأنفس، فمن العدل أن نجرب إطلاق العنان بمقدار وإلغاء بعض الحواجز- بحكمة ... فنحن إن حاولنا قتل شخصية الطفل بالإذلال والتسلط، خلقنا منه شابا منسحقا لا شخصية له، ولكنه سيظل يتأجج حقدا ورغبة في الانتقام، حتى إذا توفرت له الأسباب كان متمردا عاص .... التحرر ليس تسيبا كما يرى الشاب مسيمر، كما أن بعض النزق ليس انحرافا، وممارسة بعض السلوكات على سبيل التجربة والخطأ لا أراها استهتارا وإنما هي إحدى مراحل العمر لابد من اجتيازها وإلا كانت الطفرة في التطور... هل من اعتراض؟

الإشاعة بكل أشكالها وألوانها فهي إما تجسيد لرغبات مكبوتة أو تعبير عن أمان مرجوة أو تعويض عن أفعال مسحوقة أو أنها مختلفة لأداء وظيفة ما... لكل ذلك، فإنه ليس من العيب أن تنطلق الإشاعات أو تروج، وإنما العيب أن نتقبلها دون تمحيص أو ننساق وراء تصديقها دون وعي... إذا كان الإيمان فينا راسخا لن تهزه رياح الشائعات. أليس كذلك... فهل من رأي آخر؟

موضوع الفتيات الأجنبيات لا أرى أنه يخص أحدا غيرهن أو السيدة التي تأويهن في بيتها، فإذا هن رغبن في الذهاب من حيث أتين، فلا أحد يقوى على إمساكهن عنوة. كما إذا رفضت السيدة المكنونة بقاءهن عندها فليس هناك من يستطيع أن يجبرها على قبول ما ترفض أو يكرهها على الرضا بما لا تود... أما ما يقال عنهن فهو محض إشاعات وقد أجبت عليها، انتهى. هل من قول؟

لم يبق على ما أذكر غير موضوع هيئة البلد، إنها تجربة كنت أعلنت إقرارها و إنما عمدت إلى إعادة تشكيلها، انطلاقا من عدة عوامل ومعطيات منها حتمية التطور، وتغيّر العلاقات وتعدد المصالح ونشوء اهتمامات جديدة، كل ذلك يقتضينا ألا نترك أمر اختيار الأشخاص للعشوائية أو الانتماء الجهوية أو النزعات السلوكية. فقد حاولت جهدي واستشرت من أثق فيهم من العقلاء للتعرف على من يمكن أن ينهض بهذه المهام في المرحلة الراهنة التي هي أخطر المراحل وأعوصها، لأن القضية بحذافيرها من الأمور الدنيوية تتطلب حنكة ومراسا بشؤون الدنيا دون الإخلال بأصول الدين... وليس هناك ما يمنع من إعادة التشكيلة إن ارتأيتم الخير في غيرها... إلا أني أرجو أن تتركوا هذا الأمر على عاتقي، أتحمل عواقبه، إن أصبت فخيره يعمكم، وإن أخطأت فوزره علي ... إذ ليس كالتجربة والاختبار من وسيلة لكشف ما تخفيه المظاهر عنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام على من رأى الحق فاتبعه واستمع إلى نداء العقل فاستجاب له، انتهى.» [1]

لقد امتازت ردود الإمام بالطول مقارنة بتساؤلات **"مسيمير"**، ثم إنها كانت تنتهي باستفهام كي يتأكد من قبول الآخرين لرأيه وتأكيدهم لموقفه على عدم التدخل في شؤون الآخرين فيما يخص بيت المكنونة المرأة العفيفة التي حُوّل منزلها إلى دار زنى، فهنا تأكد "مسيمير" أن الإمام مراوغ بارع يروم بالتيسير والتسهيل في الدين جعل أهل المكنونة ينسلخون تدريجيا عن الدين الإسلامي. «**قال مسيمير في نفسه:**

كلام الإمام مقنع، لكنه لا يبعث الاطمئنان في نفسي... أجد فيه من المراوغة والدهاء أكثر مما أجده من الحقيقة والصدق...إني وحق الله لفي حيرة شديدة من أمري... ما كان عليّ أن أكاشفه عما بنفسي أمام الجماعة في المسجد...فها هو قد أفحمني، وسد كل المنافذ في وجهي...». [2]

إذا كانت المناظرة تنتهي بفوز أحد الطرفين، فقد اعترف" مسيمر" بخسارته وحقّق الإمام المختفي وراء عباءة التدين غايته من خلال الممارسة التبريرية، معتمدا على حجة السلطة المبنية على المعرفة والعلم حينا. فهي حجة «**تقوم على بيان أن الرأي الذي نريد الدفاع عنه أنه يتطابق مع أفكار سلطة معترف بها من قبل المتلقي**»،[3] واعتمد الإمام أيضا حجج التأطير **التي تقوم على جهة القول في تقديم الرأي بحيث يكون قابلا لملاقاة أو إثارة اتفاق مع المتلقي كالتأكيد على مظاهر لصالح الرأي والتهوين من مظاهر أخرى**،[4] فقد هوّن مثلا من استهتار الشباب واعتبره حالة عادية تتماشى وتكوُّن شخصية الفرد، ويبرز لنا هذا الموقف صورة من صور الغي في الدين وأساليب استهداف أعداء الإسلام له عن

[1] - حفناوي زاغز، الكنونة، ص202-205.

[2] - حفناوي زاغز، المكنونة، ص205.

[3] - فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، ص138.

[4] - المصدر نفسه، ص138.

طريق التضليل والمراوغة والدس.

4. أصول الحوار الفكري في رواية خطوات في الاتجاه الآخر

ننطلق في هذا المحور للكشف عن أصول الحوار الفكري في رواية خطوات في الاتجاه الآخر من تتبّع أمرين اثنين هما: **مقصدية محكي الأقوال ومقصدية المخاطِب و أنماط الحجاج في الخطاب الموجَّه**، وسيتجلى للقارئ من خلال ذلك مقصدية الخطاب في الرواية التي تدل على أن أزمة التطرف ماثلة على مستوى الخطاب وعلى مستوى الممارسة، فهي تصوّر كيف أصبح منطق القوة والعنف هو المتحكم في الخطابات بشتى أنواعها، وتكشف عن التخطيط المدروس لدى المتطرفين.

1.4. مقصدية محكي الأقوال:

يقصد بمحكي الأقوال الحوار الذي يدور بين الشخصيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فهو «**خطاب الشخصيات، وتكون صيغة السرد هي العرض، وتقوم بوظيفة نقل كلام الشخصيات**»،[1] وتعني صيغة السرد «**الكيفية التي يعرض لنا بها السارد القصة ويقدمها**»،[2] ونجد أن الحوار الذي دار بين **نجم الدين** والجماعة عبارة عن رسائل توجّه إليه من مجهولين، وسنقف هنا عند أول رسالة نصية وصلت إليه، وكان فحواها:

«الأستاذ نجم الدين، تحية عطرة.

لقد ارتأت قيادة تنظيمنا السري ترشيحك للعضوية فيه بعد تأكدها من سلامة طويتك ونبالة توجهاتك ووطنيتك، كما قد حفزهم إلى انتقائك، ما تتسم به من بساطة وتواضع. ومحاباة للكادحين. وتعاطف مع الفئات المسحوقة. إضافة إلى شدة نقمتك وسخطك على الطغاة والمرتشين والظالمين وللإحاطة فإن أهداف التنظيم "إقامة دولة الحق والعدل والمساواة، دستورها القرآن ومنهجها سنة الرسول صلوات الله عليه وسلامه"، ومن أساليب سعيها لبلوغ الأهداف/ مكافحة القهر والظلم ومحاربة أنواع الاستبداد والاستغلال. ثم التصدي لضروب التهميش والإذلال والتعسف وحتى التغاضي عن الانحرافات والتجاوزات...

ومما نود أن تلم به: أنّ لتنظيمنا جنودا ومريدين وأنصارا في شتى بقاع العالم... فإن اقتنعت بأهدافنا ولمست في نفسك مشاعر الحمية للدفاع عنها فاكتب لنا رأيك في رسالة. سيأتي من يستلمها منك، خلال أسبوع أو قبيل عودتك للوطن بسويعات..

وختاما، فإن كل رجائنا أن تفكر جيدا قبل إبداء رأيك إيجابا أو سلبا...

وعليك أن تتأكد أن اختيارنا لمن نرشحه ليس اعتباطا أو عشوائيا...

[1] - محمد بوعزة، الدليل إلى تحليل النص السردي: تقنيات ومناهج، ص 88.

[2] - المرجع نفسه، ص87.

ولم يحدث أن أخطأنا في من وقع عليه الاختيار حتى الآن. ومهما تكن الحالة التي أنت عليها، فإياك أن تبادر بالرد السلبي قبل التحاور مع من يتكفل بالأمر من لدنا بعد استلامنا قبولك المبدئي وحين ذاك سنقرر متى سيحدث الاتصال بك حيثما كنت...سلام. م. د.ج».[1]

معلوم أن التداولية لا تتوقف عند المدلولات النصية بل تتجاوزها إلى الاهتمام **بالسياق** الذي أُنتج فيه النص، فهي تعنى «**بدراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية. هي دراسة الكلمات والعبارات كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف وموقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية**»،[2] فهناك بعض النصوص لا تفهم بشكل صحيح إلا عندما نكتسب معرفة بالسياق الذي دارت فيه فـ«**الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، بالمعنى المحدد سالفا، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته)،ولكنه قد يتضمن قرائن(ضمائر أو ظرفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه. ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه**».[3]

فدراسة النص بعيدا عن سياقه يوقعنا في اللبس وغموض الدلالات والمعاني، ويبعدنا عن تحديد نوع العلاقات بين المتخاطبين، ولا يمكننا إلغاء دراسة السياق في رواية "**خطوات في الاتجاه الآخر**"، لأننا بذلك سنهدم مقصدية المرسل واستجابة وتقبل المرسل إليه؛ فالرسالة التي أرسلت إلى "**نجم الدين**" وتسلمها خارج الجزائر من طرف رجل مجهول لا تُستنطق إلا بالرجوع إلى سياقها **فالنص والسياق يتمم أحدهما الآخر**.[4]

قال **نجم الدين** وهو يسرد قصته: « **فور اجتيازي منطقة الجمارك (...) انبثق أمامي شخص من العدم لا أذكر أني رأيته من قبل(...) قال بدماثة ولطف: أهلا بالسيد نجم الدين. ثم أضاف هذه رسالة إليك ضعها في مكان أمين...رجاء أن تؤجل قراءتها حتى تستقر في إحدى غرف الفندق الذي تعودت الإيواء إليه...**»،[5] فمن خلال هذا الموقف تأكد **نجم الدين** من أنه مراقب من طرف جماعة ما، وأن جميع تصرفاته محسوبة، وهذا ما استقر في ذهنه بعد قراءته للرسالة، فأكده بقوله «**إنّه لأمر شديد الغرابة، كيف حدث هذا؟ ولماذا؟ ... لا شك أني كنت منذ فترة غير وجيزة تحت سمعهم وبصرهم، يحصون علي أنفاسي وهمساتي، لا تفوتهم من شؤوني كبيرة أو صغيرة، يتعقبون كل حركاتي وسكناتي...في إقامتي وتنقلاتي .... لكن لماذا أبوا الاتصال بي إلا في هذا البلد؟ الذي كنت أخال أنه**

[1] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص10-11.

[2] - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص18.

[3] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص56.

[4] - جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص215.

[5] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص9.

تخلص من مناخ العنف والإرهاب». [1]

هنالك اتضحت الرؤيا **لنجم الدين**، وفهم ما هو مطلوب منه، وهو الامتثال للأوامر الآخر تحت ضغط الظروف التي تعيشها الجزائر، ومعنى ما جرى يؤكد أنه لئن غادر الوطن فهم قادرون على الوصول إليه وتصفيته. جاء في حديث **جميل حمداوي** عن مقصدية النص الأدبي أن المتكلم يمثل « **قوة عليا، يمتلك سلطة متفوقة، فيوجه للمخاطَب، الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية، دون تردد أو مناقشة، كما هو حال الأوامر الدينية والعسكرية**»،[2] ومن هذا المنطلق، فقد سارت **منظمة الدعوة والجهاد** على هذا المنطق، فمن موقع المستعلي وجهت خطابها إلى نجم الدين، مصادرة إرادته، وهذا ما حدث في بقية الفصول، فقد تطورت مطالب المنظمة، وأصبحت رسائلها الموجهة إلى **نجم الدين** تُصدر أوامر بالقتل بحجة الكفر.

2.4. مقصدية المخاطِب و أنماط الحجاج في الخطاب الموجَّه:

كانت **منظمة الدعوة و الجهاد**، كما سمّت نفسها، واضحة المقصد منذ البداية، فقد أرادت من **"نجم الدين"** الانضمام إلى جماعتها، بغية الاستفادة من موقعه في العمل وتكثير سوادها، وهذا ما صرحت به بعد التحية بالقول «**لقد ارتأت قيادة تنظيمنا السري ترشيحك للعضوية فيه**»، فهي لم تقل دعوتك أو اختيارك أو اصطفاءك أو قبولك...، وإنما انتقت لفظة ترشيحك وفي اللغة « **ترشّح للأمر:تهيّأ له**»،[3] فـ**"نجم الدين"** على أهلية واستعداد ليكون عضوا فاعلا في نظرها، والمنظمة هي التي تتولى مهمة تكوينه وهندسة حياته وفق مبادئها، و لقد استعملت في خطابها العديد من الآليات الحجاجية نحو: حجة التأطير، وحجة الاشتراك، وحجة السلطة.

-**حجة التأطير:** فالجماعة من، خلال الرسالة، أطرت العالم الخارجي، كما تراه هي، فعرّفت تنظيمها بأنه تنظيم سري، ووضحت أهدافها، انطلاقا من الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتأزمة، إلا أنها لم تذكر أسماء المتسبّبين في رداءة الوضع الراهن، وأضمرت أسماء المنتمين إليها، ويمثّل هذا في استراتيجية خطابها السرية التي تعتبرها سبيلا في الحفاظ على سلامتها، وهذا راجع لما « **يتميز التأطير في الواقع بكونه يتعلق بالوصف الذي يلح على بعض المظاهر وبجانب أخرى**.». [4]

-**حجة اشتراك:** يقوم المخاطِب عادة من أجل إقناع المتلقي باستحضار الأفكار والمبادئ التي يتوافقان فيها «**وتستدعي حجج الاشتراك المعتقدات أو القيم المشتركة مع المتلقي، والتي تحتوي**

[1] - المصدر السابق، ص11.

[2] - جميل حمداوي، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، ص88.

[3] - معجم الدوحة التاريخي https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D8%AD : تاريخ التصفح: 2022/11/24.

[4] - فليب بروطون، المصدر السابق، ص 62.

مسبقا بشكل من الأشكال، الرأي الذي يكون موضوعا لمشروع الاقتناع»،[1] ومشروع المنظمة كما هو موضّح في الرسالة «**إقامة دولة الحق والعدل والمساواة، دستورها القرآن ومنهجها سنة الرسول صلوات الله عليه وسلامه»**، وهذا ما يمثّل المشترك المتفق عليه في منظورها.

-**حجة سلطة:** تتمثل في التوضيحات والتعليمات التي وجهت له، والمتمثلة في معرفة المُنَظّمة بنجم الدين وبجميع تفاصيل حياته، ولعل ما يبرز هذا الأشكال التالية:

أ-**الإعلام:** ويظهر ذلك في إعلامه بأنه مراقب ومستهدف بطريقة مضمرة، مثل: «**ومما نود أن تحيط به: أنّ لتنظيمنا جنودا ومريدين و أنصارا في شتى في شتى بقاع العالم...**» وخطابهم «**فاكتب لنا رأيك في رسالة. سيأتي من يستلمها منك، خلال أسبوع**»، وقولهم «**وحين ذاك سنقرر متى سيحدث الاتصال بك حيثما كنت**»، فهذه العبارات تدل على سهولة الوصول إلى"**نجم الدين**" أينما كان، وهذا يمثل سلطة.

ب- **إبراز القوة والدقة:** يبرز ذلك من خلال تأكيد المنظمة على مجانبتها الخطأ، والدقة في اختيار أعضاء المنظمة سواء المؤمنين بما تدعو إليه أو المنخرطين إليها تحت الضغط والتهديد، يتجلى ذلك في خطابهم«**عليك أن تتأكد أن اختيارنا لمن نرشحه ليس اعتباطا أو عشوائيا...**»، وقولهم «**ولم يحدث أن أخطأنا في من وقع عليه الاختيار حتى الآن**».

د-**التخيير والتهديد:** القارئ لختام الرسالة يعتقد للوهلة الأولى أن المتلقي مخيّر بين القبول والرفض، وذلك في خطاب المنظمة « **وختاما فإن كل رجائنا أن تفكر جيدا قبل إبداء رأيك إيجابا أو سلبا ...**» إلا أن هذا التخيير ما يلبث أن يتحوّل إلى تهديد بالقول «**فإياك أن تبادر بالرد السلبي**»، ولم يتوقّف الأمر عند النهي عن الرد السلبي، بل تجاوزه إلى التقرير بالقبول وذلك في« **التحاور مع من يتكفل بالأمر من لدنا بعد استلامنا قبولك المبدئي**».

3.4. مقصدية المرسل إليه(المخاطَب):

إن غاية المرسل(المخاطِب) من الرسالة هو إفهام المرسل إليه أو المتلقي ما هو مطلوب منه، ونجم **الدين** في هذه الرواية فهم ما ترمي إليه الجماعة، فمشكلته إذن ليست في الفهم، وإنما في الفعل الإنجازي كيف يكون؟ وكيف يُكيّف ردّه على الرسالة بين مقصديته المضمرة ومقصدية الجماعة؟ قال "**نجم الدين**" في نفسه «**إذن لابد أنهم يعلمون عني كل شيء أكثر مما أعلمه عن نفسي...كل ذلك محتمل جائز، لكن ما جدواه بعد الذي حدث، فأنا الآن مرشحهم، وحسب ما يبدو أنه ليس في إمكاني أن أرفض...وهب أني قبلت الانضواء تحت أجنحتهم وانتهاج السبل التي يسلكون، فماذا يكون دوري معهم بالضبط**».[2]

---

[1] - المصدر السابق، ص61.

[2] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص12.

لقد غيّرت هذه الرسالة حياة البطل وقلبتها رأسا على عقب، قال **نجم الدين** في نفسه «**الرسالة القنبلة الموقوتة، التي قذفت بها المجاهيل ستظل قابلة للانفجار في أية لحظة...ولم يعد في الإمكان الابتعاد عنها، أو التخلص من تبعات ما يترتب عليها، أو ما عسى أن تفضي إليه**». [1] ويبرز هذا مدى صعوبة الموقف الذي مرّ به البطل والصراع النفسي الذي عاشه، فقد تحول من مناضل ضد الإرهاب إلى تابع له، قال في نفسه «**ما هكذا ينبغي لك يا نجم أن تقذف بنفسك من النقيض إلى النقيض. بالأمس كنت من عتاة المناضلين ضد الإرهاب، وإذا اليوم أجدني في صميم بؤر منظريه والعاملين على تطويره وتعميق محتواه، والساعين لترويجه و انتشار مداه...بل الأخطر والأدهى من كل ذلك أن من انضوى تحت لوائهم يستحيل عليه الخلاص، إلا إذ استغنى عن حياته**».[2]

لقد أضحى **نجم الدين** يحاول الإفلات من الجماعة، مدركا عجزه عن ذلك، لذا جاء رده موجزا مقارنة بخطابهم قائلا: «**السادة الأفاضل سلام الله عليكم ورحمة منه تعالى وبعد: يسعدني أن أعرب لكم عن قبولي الانضمام إليكم والذي لن يكون نافذا قبل الحوار مع من توكلون إنجاز هذا الأمر، فإلى ذلك الحين تقبلوا تحيات نجم. السلام**». [3]

فهنا أظهر **نجم الدين** الموافقة على الانضمام إلا أنه أضمر الرفض؛ وتجلى هذا الرفض في استدراكه باشتراط الحوار، فالحوار تفاعل إنساني بين الطرفين، « يختلف تماما عن الجدل؛ إذ أنه يقوم على مبادئ وأسس سليمة التكوين في مناهجها، كما يدور بين طرفيْن متفقَيْن على فكرة ما، يتخذان الحوار وسيلة لكشفها ودراستها في جو يسوده الهدوء، بعيدا عن مواطن الانفعال والهيجان، في حين يفتقد الجدل لمثل هذه المواصفات، إذ يبدر من المتجادلين الانفعال والحماس الذي يصل في كثير من الأحيان إلى السبّ والشتم والاقتتال »،[4] فلما كان "**نجم الدين**" يدرك طبيعة الأشخاص الذين يتعامل معهم أخذ يتساءل قبل اللقاء بالمُحاوِر «**ترى ماذا عساه يعرض علي ؟وما هي حدود الضغوط والوعيد، ما مقدار المراوغة والزوغان؟ وما مجلات التحوط والاشتراط؟ وهل يتاح لي الحق في القبول أو الرفض؟ و...و...و...وما هي شخصية المُحاوِر وقدراته؟ وما مدى إلمامه بأطراف المواضيع التي ستطرح للتداول؟ وما هي سعة مداركه؟ وحصيلة ثقافته؟ وهل هو من النوع الذي يتفهم ويحاور؟ أو ذاك المتزمت الذي يصدر التعليمات والأوامر؟ أو...أو...أو...**». [5]

والملاحظ في رسالة **نجم الدين** أنه حذف من اسمه كلمة "**الدين**"، وكأنه يلغي ضمنيا ذاك

---

[1] - المصدر السابق، ص24.

[2] - المصدر نفسه، ص76.

[3] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص29-30.

[4] - لزهر خديجة، ترشيد الفكر الديني من خلال علم مقارنة الأديان"مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر أنموذجا-"مقاربة تحليلية متحيزة، ص331-332، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/229730

[5] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص63.

المشترك(المتوهم) بينه وبين الجماعة أو يطوعه لاختلاف المبادئ والنظرة إلى الإسلام، ولولا النقطة بين **نجم والسلام** لكان اسمه **نجم السلام**، فهو ضمنيا يبتغي السلام وليس الضغط بحجة الدين.

لقد تأكد **"نجم الدين"**، في أثناء الحوار، من توجه الجماعة المتطرف قال نفسه: «**كنت في تلك الأثناء أزداد قناعة بأن المسافة بيننا لاتني تتسع وتنداح حتى صرت أخشى تلاشي إمكانية التواصل، وأحرى التقارب من خلال هذا النوع من الحوار الذي يفتقر أساسا إلى وجود حكم محايد...وقد ساعد على تعميق الهوة، تباين منطلقاتنا الفكرية ومستوى حصيلة كل منا الثقافية والإيديولوجية، مما أدى إلى اختلاف نظرتنا للو اقع...أخذت أفكر بسرعة قصوى فلم أجد مخرجا مما أنا فيه، غير مجاراة مخاطبي مع مراعاة الحذر والتحوط... قلت مداريا:**

لعل الأيام والأحداث والوقائع التي تقتحم حياتنا وتتغلغل في كياننا، تجعلني أسارع إلى اعتناق مذهب الجماعة قبل فوات الأوان.ولكني الآن **لا أرى مانعا، إن كاشفتك بالتوجه الذي شرح صدري و أفعمني سعادة هو اعتماد التوعية والتنوير والإرشاد، لإشراك جمهرة من المجتمع على الأقل في التفهم والتعاطف والانجذاب...»** [1]

ويتبيّن، من خلال السياق الذي دار فيه الحوار بين **نجم الدين** والطرف المحاوِر، استحالة التوافق بينهما؛ لأن الحوار مبني على العنف واختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية، إلا أنه مرة أخرى يضطر إلى التضامن مع الآخر على مستوى اللغة، تحقيقا للفائدة المرجوة وهي الحفاظ على الذات والأقارب من التصفية. وتميزت شخصية **نجم الدين** بالمداراة في مواجهة الجماعة مع ديمومة التخوّف من التصعيد في المطالب، مرجّحا ترشيحه كما قال في نفسه« **لكي أحيطها بما يُدبر ضدهم أو يخطط للانقضاء عليهم... الفكرة محتملة، الأيام وحدها ستكشف عما يزكيها أو يلغيها**»[2] ويحدث التحوّل بخروج من صمته لما أُمر باغتيال أربعة أشخاص، حينها قال لمحاوره «**يجب أن أصارحك من البداية ولا داعي إلى تأجيل إعلان الموقف فأنا شخصيا لن أستطيع ولن أعد بالمحاولة، أو حتى التفكير في اغتيال بشر مثلي ومثلك...زد على ذلك أنهم مسلمون يقول كل واحد منهم"لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله"...هذا إلى أني لم أمسك سلاحا في حياتي وأحرى استعماله للتجربة والتسديد.**

صرخ محتدا: -رجاء لا تغالط نفسك إنهم ليسوا بشرا بل جراثيم آفات اجتماعية...وباء... طاعونا فالخلاص منهم عبادة وزلفى إلى الله»،[3] فرغم الحجج التي أوردها **نجم الدين** إلا أنه لم يجد أثرا أو صدى لدى محاوره وحججه تلك يمكن تصنيفها فيما يلي:

أ-حجة تأطير/ انفصال مع المرغوب: تمثلت في تصريحه عن موقفه الخاص بنفيه التام في أن يصبح

[1] - حفناوي زاغز، خطوات في الاتجاه الآخر، ص74.

[2] - المصدر نفسه، ص86.

[3] - المصدر نفسه، 115.

قاتلا مهما كانت الأسباب وذلك في قوله: «**لن أستطيع ولن أعد بالمحاولة، أو حتى التفكير**...» وكذا تصرحه بعدم إتقانه حمل السلاح «**هذا إلى أني لم أمسك سلاحا في حياتي**»، فهو بهذا يقطع مرغوبهم.

ب-حجة اشتراك: وذلك عندما استدعى القيم الإنسانية والإسلامية «**بشر مثلي ومثلك**» و «**زد على أنهم مسلمون يقول كل واحد منهم "لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله"**

يتجلى من خلال ما تقدّم في الروايتين المدروستين الطريقة التي اسْتُغل فيها الدين الإسلامي لمآرب ومصالح خاصة، وهي ظاهرة قديمة ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، فالدين يُوظف في غير ما خصص له، ونصوصه تُطوّع بحسب الأهواء، ويذكرنا هذا بـ**نور الدين بكيس** الذي اصطلح على الظاهرة اسم "**نموذج صعاليك التدين**" مشيرا إلى وجود الصعلكة الدينية في فترات مختلفة وبلدان عديدة منها الجزائر بقوله: «**لقد تعرض الدين للتوظيف في الجزائر في كل مرة، حسب الحاكم أو المسيطر على شؤون الحكم و حسب الأوضاع الطارئة والمتأزمة(الإرهاب مثلا) ،فكما وظّفته فرنسا لكبح جماح المقاومة ومحاولة فرض التطبيع مع الاستعمار بحجة أنه قضاء وقدر،لجأت النخب الحاكمة لما بعد الاستقلال إلى توظيفه لتثبيت حكمها حسب طبيعة المقاومة ونوعية الفئات المحتجة [...] فلحد الآن، لا يزال التوظيف قائما بتطويع النصوص والموروث الديني لخدمة أطراف معينة، تبدأ من إمام بسيط يتلاعب بالآيات والأحاديث والقصص القرآنية والسيرة النبوية، لتصل إلى جماعات ومؤسسات و أنظمة قائمة، توظف الدين توظيفا مصلحيا، بدون أدنى احترام أو تقدير له كرسالة سماوية**»[1]

4. خاتمة

ختاما، يمكن تسجيل النتائج التالية:

- صوّر لنا حفناوي زاغز من خلال روايتي "**المكنونة**" و"**خطوات في الاتجاه الآخر**" نمطين متناقضين من الممارسة الدينية؛ تمثّل الأول في الغي والاستهتار والانسياق وراء شهوات النفس والتعلّق بما هو دنيوي والانسلاخ عن التعاليم الصحيحة...، في مقابل النمط الثاني الذي بالغ أصحابه في التشدد والتطرف إلى حد التكفير والقتل، وكبت الحريات متناسين بذلك أن الدين دين يسر ولا إكراه فيه...

- اشتركا النمطان في مجاوزة الحد وإرغام الآخرين على انتهاج نهجهم، واختلفا في الأسلوب؛ فإن كان أسلوب الإمام في "المكنونة" الاستدراج في المنظرة والمراوغة والخداع والمكر من أجل أن يصل إلى مبتغاه في خدمة الصهيونية، فإن منظمة الدعوة والجهاد التي خطّطت لاستهداف المثقفين والفاعلين، وكان سبيلها في بلوغ هدفها العنف والترهيب، والدوس على أصول الحوار.

-جسّد زاغز الرفض التام لكلا النمطين من خلال شخصية "مسيمر" الذي رفض الغي في الدين والانسلاخ عن تعاليم الدين الإسلامي، وشخصية" نجم الدين" الذي رفض الغلو والتطرف، في نفسه،

[1] - نور الدين بكيس، رزقي نوال، الصعاليك الجدد، ص 100-101.

تحت وطأة الإرهاب، واعتبر زاغز من خلال الروايتين الدين الإسلامي دينا وسطيا يجمع بين ما هو دنيوي وما هو أخروي.

5. قائمة المراجع:

- بهاء الدين محمد مزيد. (2010). ***تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي***. القاهرة: شمس للنشر والتوزيع.
- جميل حمداوي. (2012). ***المقاربة التداولية في الأدب والنقد***. *مجلة العربية والترجمة* (9).
- جون لاينز. (1987). ***اللغة والمعنى والسياق***. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- حفناوي زاغز. (2009). ***المكنونة-رواية***. الجزائر: دار الحكمة للنشر .
- حفناوي زاغز .(2009). ***خطوات في الاتجاه الآخر-رواية*** .الجزائر :دار الحكمة للنشر.
- طه عبدالرحمن .(2000). ***في أصول الحوار وتجديد الكلام*** .الدار البيضاء المغرب :المركز الثقافي العربي.
- عبد الكريم حاقة .(2022) .آليات الإقناع في القرآن الكريم-دراسة لنماذج لغوية وبلاغية مختارة .-***مجلة الشهاب*** .11 ,(1) *8* ,
- عبد اللطيف عادل. (2013). ***بلاغة الإقناع في المناظرة***. بيروت-لبنان، الجزائر، الرباط: منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان.
- فيليب بروطون. (2013). ***الحجاج في التواصل***. (محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المحرر) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- لزهر خديجة .(2023) .ترشيد الفكر الديني من خلال علم مقارنة الأديان"مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر أنموذجا-"مقاربة تحليلية متحيزة .-***مجلة الشهاب*** .331-332 ,(2) *9* ,
- محمد بوعزة. (2007). ***الدليل إلى تحليل النص السردي: تقنيات ومناهج***. المغرب- القنيطرة: دار الحرف للنشر والتوزيع.
- محمد خطابي. (1991). ***لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب***. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- معجم الدوحة التاريخي .(2022, 11 24). ***معجم الدوحة التاريخي***. Récupéré sur معجم الدوحة التاريخي : https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D8%AD
- معجم الدوحة التاريخي. (14 04، 2023). ***معجم الدوحة التاريخي***. تم الاسترداد من معجم الدوحة التاريخي: https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AC

- نور الدين بكيس، رزقي نوال. (2022). ***الصعاليك الجدد***. الجزائر: منشورات دار الأمير خالد.

Bibliography List

- Baha Eddine Mohamed Mazid. (2010). Simplifying Pragmatics from the Acts of Language to the Eloquence of Political Speech. Cairo: "Chams" for publication and distribution.
- Djamil Hamdaoui.(2012).The Deliberative Approach in Literature and Criticism.Arabic and Translation Magazine(9).
- John Lines. (1987).Language and Meaning and Context. Iraq: House of General Cultural Affairs.
- Hafnaoui Zagher. (2009).'Al-Maknouna'– a novel 'The hidden one'. Algiers: 'Dar El Hikma' for publication.
- Hafnaoui Zagher. (2009).Steps in the other direction–a novel. Algiers : 'Dar El Hikma'for publication.
- Taha Abderrahmane. (2000).On the Principles of Dialogue and Renewal of Speech.Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdellatif Adel. (2013).The Eloquence of Persuasion in Debate. Beirut-Lebanon, Algiers, Casablanca. 'Edifaf' Publications, 'El- Ikhtilaf'Publications, Dar Al Aman.
- Philip Britton.Arguments in Communication. (Mohamed Mechbell, Abdellwahid El Touhami El Allami, El Mouharer) Cairo: National Center for Translation.
- Mohamed Bouaza. (2007).A Guide to Narrative Text Analysis: Techniquesand Methods.Morocco-Kenitra: 'Dar El Hiraf'for publication and distribution
- Mohamed Khatabi. (1991). Text Linguistics: An Introduction to Discourse Coherence. Casablanca: Arab Cultural Center.
- Noureddine Bekis, Rezki Newal. (2022).New Brats. Algiers: 'Dar Al Amir Khaled'Publications.
- AbdelkarinHaka. (2022).Mechanisms of Persuasion in the Holy Quran, AStudy of Selected Linguistic and EloquenceModels. Vol8, 1st ed. EchibabMagazine. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/183377
- LazharKhadidja. (2023).Rationalizing Religious Thought Through the Science of Comparative Religions,'The problem of sectarian conflict in Algeria is an example."Biased

analytical approach. Vol9, 2nd ed. EchibabMagazine. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/229730

- Doha Historical Dictionary. (24 11, 2022). Doha Historical Dictionary. Recuperating fromDoha Historical Dictionary: https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D8%AD
- Doha Historical Dictionary. (1404, 2023). Doha Historical Dictionary. Recuperating from Doha Historical Dictionary:
- https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%AC